الخطُّ العربيُّ بَيْنَ عَدُوَّيْنِ

الأستاذ الدكتور

مصطفى محمد رزق السواحلي – الأستاذ بكلية اللغة العربيَّة

جامعة السلطان الشريف علي الإسلاميَّة

سلطنة بروناي دار السلام

ملخص البحث

لا يُنكرُ مُنصفٌ أنَّ هذا الخطَّ العربيَّ القرآنيَّ الفريد قد تعرَّض لمؤامراتٍ كثيرةٍ من عدوَّيْنِ: أوَّلهما خارجيٌّ، ويتمثَّل في قُوَى الهَيْمَنَةِ الغربيَّة التي أقْصَتْ الخطَّ العربيَّ عن الاستخدام في أكثر من عشر لغاتٍ، ولم تصمدْ أمام مؤامرتهم إلا اللغتان الفارسيَّة والأورديَّة، فضلًا عن الخط الجاويّ المُحْتَفَى به وبخاصَّةٍ في سلطنة بروناي دار السلام وإنْ لم يَعُدْ الخطَّ الرسميَّ للغة اليوم. وثانيهما داخليٌّ، ويتمثَّل في التقنيَّات الحديثة التي أثَّرتْ سلبًا على الخطِّ العربيّ؛ حيث تآكلتْ مهنة الخطَّاط أمام الخطوط الرقميَّة المدوَّنة بالحاسب الآلي، وعَزَفَ كثيرٌ من الناس عن الكتابة باليد، واستبدلوا بها الكتابة على الأجهزة الإلكترونيَّة، كما عمَّ بلاء الكتابة الهجين (الفرانكو آراب) التي يركن إليها كثير من الشباب اليوم تحت ستار دعاوى مختلفة. وهذا البحث يشير في تمهيده إلى جملةٍ من مآثر الخطِّ العربيّ التي اعترف بها الغريب قبل القريب. ويرصد في مبحثه الأول تاريخ المؤامرات الخارجيَّة على الخطِّ العربيّ، والتي وصلت إلى حدِّ المطالبة بإلغائه في مصر، مع بيان اللغات التي نجح فيها الأعداءُ كُليًّا، واللغات التي نجحوا معها جزئيًّا، واللغات التي فشلوا في تحقيق مآربهم معها. ويرصد في مبحثه الثاني: صور الأخطار المتلاحقة التي تهدِّد الخطَّ العربيَّ يومًا بعد يوم، وبخاصة بسبب التقنيَّات الحديثة التي ملأتْ على الناس حياتهم، وصرفتهم عن كثير من مآثر حضارتهم. ويقترحُ في خاتمته جملةً من الحلول لمواجهة هذه الأخطار المتوالية.

الكلمات المفتاحية: الخط العربيّ –القوى الغربيّة –التقنيات الحديثة –الفرانكو أراب.

Abstract
It is undeniable that this unique Arabic Qur'anic calligraphy has been faced many conspiracies from two enemies: The first is an external, namely the forces of Western domination, which excluded the Arabic calligraphy from use in more than ten languages, as only the Persian and Urdu languages could stand against their conspiracy. As well as the beloved Javanese calligraphy, especially in the Sultanate of Brunei Darussalam, but it is no longer the calligraphy of the official language today. The second is an internal, and is represented in the modern technologies that have negatively affected the Arabic calligraphy, where the calligrapher's career has been eroded in front of computerized digital calligraphies that are written by the computer, and many people refrained from the writing by their hands, and replaced by the writing on the electronic devices, as the scourge of hybrid writing: (Franco-Arab) also prevailed, as many young people are lulled into it today under the guise of various suits. This research refers in its preamble to a number of exploits of Arabic calligraphy, which is recognized by the stranger before the closer to it. In his first topic, the researcher observes the history of foreign conspiracies on the Arabic calligraphy, which amounted to the demand to abolish it in Egypt, with the statement of the languages in which the enemies succeeded completely, the languages with which they succeeded partially, and the languages that they failed to achieve their aims with them. In his second topic, he observes the images of successive dangers that threaten the Arabic calligraphy day by day, especially because of the modern technologies that have filled the lives of the people and distracted them from the many exploits of their civilization. In his conclusion, he proposes a number of the solutions to address these consecutive dangers.

Keywords: Arabic calligraphy; Western forces; Modern technology; Franco Arab.

مقدِّمة

لا يُنْكرُ مُنصفٌ أنَّ الخطَّ العربيَّ قد تيسَّر له من مجالي البهاء والجمال ما لم يتيسَّرْ لغيره، فهو بأشكاله الهندسيَّة الرائقة، وانحناءاته البديعة الفائقة يرسم صورًا جميلةً بلا حدود، حتى صار فنًّا مستقلًّا بذاته، فاكتفى به العرب عن الصور الفاضحة والتماثيل العارية؛ ففي هذا الانسياب البارع كفايةٌ لكلِّ عينٍ تريدُ أنْ تستمتعَ بالجمال

والجلال، وقديمًا قال الرياضيُّ اليونانيُّ السكندريُّ إقليدس (Euclid) (ت285 ق.م): «الخطُّ هندسةٌ روحانيَّةٌ، وإنْ ظهرتْ بآلةٍ جسمانيَّةٍ. أخذه النَّظَّام، فقال: الخطُّ أصلٌ في الرُّوحِ، وإنْ ظَهَرَ بآلةِ الجسدِ». (1)

والواقع أنَّ أرباب العمارة الإسلاميَّة ومُبْدعي زخارفها الفنيَّة قد أدركوا بجلاء «أنَّ الخطَّ العربيَّ يتصفُ بالخصائص التي تجعل منه عنصرًا زخرفيًّا طبيعيًّا، يحقق الأهداف الفنيَّة، وكثيرًا ما استُعْمِل الخطُّ استعمالًا زخرفيًّا بحتًا دون الاهتمام بالمضمون المكتوب، ولقد تجسَّدت شخصيَّة الفن الإسلاميّ في الخطِّ صورًا زخرفيَّة دلَّتْ على ثراء الحسِّ الفنيِّ بما أمدَّته به الصناعات العربيَّة المختلفة، واتخذ من الخطوط الجميلة الكوفيَّة والثُّلُثِيَّة وسيلةً لكتابة الآيات القرآنيَّة على محاريب المساجد وواجهات جدرانها، وقامات المنابر المتعالية، وهكذا صار طابع الفنِّ الإسلاميّ شعارًا خاصًّا على إطار الحياة اليوميَّة. ولقد استعملتْ أشرطة الكتابة على التحف المختلفة وعلى العمائر تحت السقف لربط المستويات الرأسيَّة بالمستويات الأفقيَّة، أو بالقبَّة، كما ابتكر الخطَّاطون كتابةَ العبارات بالخطِّ الكوفيِّ المربَّع، أو الكوفيِّ المتداخل لتبدو على شكل حيوانٍ أو طائرٍ». (2)

وقد شهد له بذلك الجمال الفائق العدوُّ قبل الصديق، فقد روى أبو بكر الصوليُّ (ت335هـ/ 946م) في "أدب الكُتَّاب": «حدثني يحيى بن البحتريّ قال: حدثنا أبي عن ابن الترجمان –وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا –قال: وافقتْ لهم عيدًا، فرأيتُهم قد علَّقوا على باب بَيْعَتِهم كتبًا بالعربيَّة منشورة، فسألتُ عنها، فقيل: هذه كُتُبُ المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوا هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث، أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح، فقال لي: هذا حقٌّ، قد كتب سليمان بن وهب كتابًا إلى ملك الروم، في أيام المعتمد، فقال: ما رأيتُ للعرب شيئًا أحسن من هذا الشكل! وما أحسدُهم على شيءٍ حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ الخطَّ العربيَّ، وإنَّما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه». (3)

يقول المؤرِّخُ الفرنسيُّ المُنْصِفُ جوستاف لوبون (Gustave Le Bon 1841-1931): «وقد بلغ الخطُّ العربيُّ من الصلاح للزينة ما كان رجالُ الفنِّ من النصارى في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يُكثِرُون معه من استنساخ ما كان يقع تحت أيديهم اتفاقًا مِنْ قِطَعِ الكتابات العربيَّة على المباني المسيحيَّة تزيينًا لها سائرين في ذلك مع الهوى». (4)

(1) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى. (1314هـ). **أدب الكتَّاب**. تحقيق: محمد بهجة الأثري، مراجعة: السيد محمود شكري الآلوسي. القاهرة: المطبعة السلفية، وبغداد: المكتبة العربية. ص: 41.

(2) الجبوري، محمود شكر. (1998م). **الخطُّ العربيُّ: قيم ومفاهيم والزخرفة الإسلامية**. الأردن، أربد: دار الأمل. ص: 188-189.

(3) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى. (1314هـ). **أدب الكتَّاب**. (مرجع سابق). ص: 45.

(4) لوبون، جوستاف. (1969م). **حضارة العرب**. ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: عيسى الحلبي. ص: 531.

ويقول الرَّسام العالمي بيكاسو (Pablo Ruiz Picasso 1881-1973): «إنَّ أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فنِّ الرسم سبقني إليها الخطُّ العربيُّ منذ أمدٍ بعيدٍ». (5)

وصدق الخليفة المأمون (ت218هـ/ 833م) إذ يقول: «لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها؛ لَفَخَرْناها بما لَنَا من أنواع الخطِّ يقرأ بكلِّ مكان، ويُتَرْجم بكلِّ لسان، ويُوجد مع كلِّ زمان». (6)

والواقع أنَّ الخطَّ الجميل يزيد الحق وضوحًا، والخطَّ الرديء يُنفِّر النفس من متابعة القراءة، فهو لون من ألوان البيان الذي علمه الله الإنسان، وكما يستحبُّ الجمال في البيان القوليِّ يستحب الجمال الكتابيُّ، يقول ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م): «واعلمْ بأنَّ الخطَّ بيانٌ عن القول والكلام، كما أنَّ القول والكلام بيانٌ عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بدَّ لكلٍّ منهما أنْ يكون واضح الدلالة، قال الله تعالى: **[خَلَقَ الإنْسَانَ* عَلَّمَهُ البَيَانَ]**، وهو يشتمل بيان الأدلَّة كلِّها. فالخطُّ المجرد كماله أن تكون دلالته واضحة، بإبانة حروفه المتواضعة، وإجادة وضعها ورسمها، كلُّ واحد على حدة، متميزٌ عن الآخر، إلا ما اصطلح عليه الكتَّاب من إيصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض». (7)

ومن بعده نقل مرتضى الزَّبيديُّ (1205هـ/ 1790م) قول بعض العلماء: «الخطُّ كالروح في الجسد، فإذا كان الإنسان جميلًا، وسيمًا، حسنَ الهيئة؛ كان في العيون أعظم، وفي النفوس أفخم، وبضدِّ ذلك تسأَمُهُ النفوس. فكذلك الخطُّ إذا كان حسنَ الوصفِ، مليحَ الرَّصْفِ، مُفَتَّحَ العيون، أملسَ المتون، كثيرَ الائتلافِ، قليلَ الاختلاف؛ هشَّتْ إليه النفوس، واشتهته الأرواح، حتى إنَّ الإنسان ليقرؤه –وإنْ كان فيه كلامٌ دنيءٌ، ومعنًى رديءٌ –مستزيدًا منه ولو كثر، من غير سَأَمٍ يلحقُهُ ولا ضَجَرٍ. وإن كان الخطُّ قبيحًا مَجَّتْهُ الأفهامُ، ولَفَظَتْهُ العيونُ والأفكارُ، وسَئِمَهُ قارئه وإن كان فيه من الحكمةِ عجائبُها، ومن الألفاظ غرائبُها». (8)

(5) عليوة، منى مصطفى. (2017م). **أثر الفنون الإسلامية في أعمال فن التصوير الحديث والمعاصر**. القاهرة: مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد الثامن. ص: 648.

(6) الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (1411هـ/ 1990م). **حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق**. تحقيق: محمد طلحة بلال. القاهرة: مطبعة المدني. ص: 33.

(7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1408هـ/ 1988م). **تاريخ ابن خلدون**. المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). تحقيق: خليل شحاته. مراجعة: سهيل زَكَّار. ط2. بيروت: دار الفكر. 1/530-531. والنصُّ القرآنيُّ المستشهد به من: سورة الرحمن، الآيتان: 3-4.

(8) الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (1411هـ/ 1990م). **حكمة الإشراق إلى كتَّاب الآفاق**. (مصدر سابق). ص: 34.

ولكنَّ الخطَّ العربيَّ في العصر الحديث قد وقع بين شِقَّي الرَّحى؛ (9) إذ تكالب عليه الأعداءُ، وظاهرهم على تآمرهم بعض أبناء جلدتنا، وما فتئ بعض الأبناء يحفرون قبره في سذاجةٍ وغفلةٍ عجيبةٍ، وسبيلي أن أفصِّل ها هنا طبيعة حجريْ الرَّحى اللذيْن وقع الخطُّ العربيُّ بينهما.

المبحث الأول: المؤامرة الخارجيَّة

يُتَّهمُ كثيرٌ من العرب والمسلمين بالإسراف في الحديث عن نظريَّة المؤامرة (Conspiracy Theory)، حيث الإمعان في التشكيك في كثير من الأحداث، والركون إلى تفسير جُلِّها بأنَّها مؤامرةٌ كونيَّة يسهر عليها الأعداء الماكرون بالليل والنهار؛ تسويغًا لعجزهم عن التفسير العلميِّ الصحيح الذي يكشف عن ضعفنا وتخاذلنا وسذاجتنا المُفْرِطة.

لكنَّ المؤامرة عندما تتحوَّل إلى واقعٍ ملموسٍ، وإلى حقائق لها شواهد يقينيَّة يُجاهر بها أصحابُها فليست نظريَّة، وإنَّما هي حقيقة ملموسة لا ينكرها إلا أرمدُ لا يرى الشمس في رابعة النهار، أو أصمُّ لا يسمع قرع الطبول في أتون الحرب العوان.

لقد رأى الأعداء في الخطِّ العربيِّ صورةً لعبقريَّة الفنِّ الإسلاميِّ، وصورةً من صور الفتح الذي جسَّد فُتوَّةَ الدولة الإسلاميَّة حيث انتشرت خارج أقطارها لتحلَّ اللغة العربيَّة بأصواتها ورموزها محلَّ الفارسيَّة في العراق، والروميَّة في الشام، والقبطيَّة في مصر، والبربرية في شمال أفريقيا، ولتغزو رموزها الكتابيَّة لغاتٍ أخرى كالفارسيَّة والأردو والتركيَّة والملايوية وغيرها.

بل إنَّ أبناء هذه اللغات قاموا بتطوير الخط العربيِّ، فرأينا الإضافات الفارسيَّة للحروف العربيَّة مثل الباء والجيم المنقوطتين بثلاث نقاط من أسفل، والزاي المنقوطة بثلاث نقاط من فوق، والكاف التي فوقها شرطة وقد كان لها تأثير كبير في الخط الجاويِّ والأُرْدِيِّ والخوارزميِّ وغيرها.

ورأينا خطوطًا كاملة يضيفها غير العرب إلى الخطِّ العربيِّ مثل الخطِّ الفارسيِّ الذي اخترعه الفرس منذ القرن التاسع الهجري، ومزجوا بينه وبين خط النسخ في خطٍّ يسمى "النَّسْتَعْليق"، والخطِّ الديوانيِّ الذي طُوِّر في زمن

(9) من التعبيرات الشائعة في العربية المعاصرة، ولم أجده مستعملًا في القديم مطلقًا، ومثلها "بين فكَّيْ الكمَّاشة"، وأظنهما مترجمين عن بعض الأمثال الإنجليزية التي تدلُّ على مواجهة خطرين مثل: (Between the Devil and the deep blue sea)، (Between a rock and a hard place)، (Between the pliers jaws)، (Between the Spark and the Burn). «والرَّحَى: أداةٌ يُطحن بها، وهي حجران مستديران يُوضع أحدهما على الآخر ويُدار الأعلى على قُطبٍ حديدي، فتطحن الحبوب بوقوعها بين الحجرين. ويقال: "بين شِقَّيّ الرَّحى": لمن يكون بين فريقين متخاصمين، ويتعرّض لتلقّي الضربات من الجهتين، أي أحاطت به المشكلات من كلّ جانب». [انظر: عمر، أحمد مختار. (1429هـ/ 2008م). **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب. 873/2 (بتصرف)].

العثمانيين على يد مصطفى غزلان (ت1938م)، ويسمى أيضًا "الخط الغزلاني" نسبة إليه، وخط الرقعة الذي طوره ووضع مقاييسه الخطَّاط التركيُّ "ممتاز بك" في زمن السلطان عبد المجيد... وغيرها.

ولما دار الزمان دورته، وبات المسلمون في طَوْرِ الاستضعاف العسكريِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ ما انفكَّ العدوُّ يحاول أنْ يفرض سلطانه الثقافيَّ والحضاريَّ على المغلوب، حتى يتمكَّن من مسخ الهويَّة الحضاريَّة للأمَّة، والخطُّ لا شكَّ مظهر من مظاهرها، فتوالت الدعوات إلى نبذ الكتابة بالحروف العربيَّة، واستخدام الحروف اللاتينيَّة بدلاً منها؛ تحت ستار العولمة والكتابة الكونيَّة، وتسهيل التواصل، وغيرها من دعاوى ظاهرها الرحمة، وباطنها من قِبَلِه العذاب.

إنَّ الخط العربيّ ليس مجرد رموز للكتابة، ولكنَّه هويَّةٌ حضاريَّةٌ تعبِّر عن الانتماء لهذا الدين، والاندماج في تلك الحضارة، فعلى سبيل المثال تحولت اللغة الفارسيَّة إلى الحرف العربيِّ «وكان استخدامهم للخطِّ العربيِّ تعبيرًا عن ارتباطهم بالإسلام في وقت مبكِّرٍ، بينما كان الزرادشتية والمانوية واليهود والمسيحيون يدوِّنون الفارسيَّة بخطوط أخرى، وربما يرجع تدوين الفارسيَّة بحروف عربية إلى منتصف القرن الثالث الهجريِّ، ولكن تطوير نظام الكتابة العربيَّة بإضافة النقط الإضافية لتكوين حروف مثلثة يرجع فيما يبدو إلى منتصف القرن الخامس الهجريّ». (10)

وقد سار المتآمرون على الخطِّ العربيِّ في مسارين:

<u>المسار الأول</u>:

وهو متعلق باللغات غير العربيَّة التي اتخذت الحروف العربيَّة رموزًا للكتابة، فحاربوا تلك اللغات حتى قضوا على الحرف العربيِّ في معظم تلك اللغات؛ إذ لم يَنْجُ من حملتهم المسعورة سوى اللغة الفارسيَّة ولغة الأردو، وبيان ذلك:

1-كانت هناك عدة لغات في الجمهوريات الإسلاميَّة في آسيا الوسطى تكتب بالحروف العربيَّة، وتمتلئ بالمفردات العربيَّة والفارسيَّة، مثل اللغة الآذريَّة في جمهورية أذربيجان، واللغة الخوارزميَّة، واللغة الداغستانيَّة وغيرها، ولكن بعد قيام الثورة الروسيَّة الشيوعيَّة وتأسيس الاتحاد السوفيتي عام 1919م تمَّ الاستيلاء على الدول الإسلاميَّة في وسط آسيا، وحددت الدولة الروسيَّة سياسةً لغويَّةً عنصريَّة تقوم على «تعديل نظام تدوين اللغات التي كانت تتخذ الحرف العربيَّ أساسًا لتدوينها، وشكلت لهذا "لجنة مركزيَّة للأبجديَّة"، وضعت في أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتينيِّ قطعت الصلة مع الخط العربيّ رمز الحضارة الإسلاميَّة». (11)

(10) حجازي، محمود فهمي. (1997م). **مدخل إلى علم اللغة**. القاهرة: دار قباء. ص: 191.

(11) حجازي، محمود فهمي. (1997م). **مدخل إلى علم اللغة**. (مرجع سابق). ص: 221.

لقد رأى الروسُ أنَّ الخطَّ العربيَّ يربط أبناء هذه المنطقة بالحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وهو يريد سلخهم من الإسلام جملةً وتفصيلًا، فسارع بعد الثورة الشيوعيَّة مباشرة إلى إصدار قرار حكوميٍّ عام 1919م بتحويل نظام تدوين هذه اللغات من الخط العربيّ إلى الخط اللاتينيّ، وعندما استقرَّتْ أمور الشيوعيَّة هناك أنشأوا الخط الكيريلي الروسيّ، وجعلوه خطًّا رسميًّا في سائر أنحاء الاتحاد السوفيتي عام 1939م، فكان ذلك بمثابة سلخ هذه البلدان من فلك الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وإجبارها على الانخراط في النسق الروسيّ.

ولم يبالِ الرُّوسُ بما دوَّنه أهل هذه البلاد بلغتهم بالخطِّ العربيّ، ولا بالقيمة التاريخيَّة والحضاريَّة لهذه الكتب، فعلى سبيل المثال «دوَّن الخوارزميُّون لغتهم بالخطِّ العربيّ، وهناك مخطوطات خوارزمية مدوَّنة بالخطِّ العربيّ، دون تلك النقاط الثلاث التي أضافها الفرس لتكوين حروف جديدة، وثَمَّة مخطوطات يقوم تدوينها على الخط العربيّ مع الإضافات الفارسية... وتعدُّ دراسة تلك النصوص الخوارزمية المدونة بالخط العربيّ مفتاحَ فهم الكتابات الكثيرة باللغات الإيرانيَّة الوسيطة المدوَّنة بالخطوط المختلفة». (12)

ولا يزال هذا الخطُّ عند أهل هذه البلاد رمزًا للقرآن والحضارة الإسلاميَّة، وقد حدثني أحد طلابي من هذه الدول أنَّ طالبًا بعد أن درس في الأزهر عاد ومعه حذاء مكتوب عليه بالحرف العربيّ (صنع في مصر)، فلما رآه الناس كادوا يفتكون به؛ إذ ربطوا بين المكتوب الذي لا يفهمون وبين القرآن الكريم، وظنُّوا أنه يكتب على الحذاء آيةً من القرآن الكريم، مما يعد جريمة توجب القتل لديهم.

2-في القارة الأفريقيَّة كانت هناك عدة لغات تكتب بالخط العربيّ؛ إذ كانت جلُّ لغات هذه البلاد شفويَّة، حتى دخل أهلها الإسلام، فاستعاروا الحروف العربيَّة من الحضارة الإسلاميَّة، وربطوا بينها وبين القرآن الكريم، منها: اللغة البربريَّة في جنوب دول المغرب العربي، واللغة النوبيَّة في مناطق من وادي النيل، واللغة السواحليَّة في شرق أفريقيا، ولغة الهوسا في غرب أفريقيا، واللغة الحبشيَّة في إثيوبيا وما حولها، واللغة الملجاشية وهي لغة بعض قبائل جزيرة مدغشقر. (13)

وأهم هذه اللغات اللغة السواحليَّة ولغة الهوسا، واللتان كانتا تكتبان بالحروف العربيَّة حتى القرن الماضي، وقد كان الطالب يختار إحداهما كلغة ثالثة للدراسة في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف حتى وقت قريب، ولكن للأسف تم القضاء على الخطِّ العربيّ فيهما تمامًا، فأمَّا اللغة السواحليَّة فتعدُّ «أوسع اللغات الإفريقية انتشارًا في شرق إفريقيا، فهي تنتشر في جنوب الصومال مرورًا بكينيا وتنزانيا وأوغندا وموزمبيق ورواندا وبورندي وزامبيا

(12) المرجع السابق. ص: 190.

(13) الجبوري، يحيى وهيب. (1994م). **الخط والكتابة في الحضارة العربيَّة**. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ص: 197.

ومالاوي والكونغو الديمقراطية، بالإضافة إلى مدغشقر وجزر القمر، كما تسمع في سلطنة عمان، وذلك بسبب العلاقات الاجتماعية التي تربط قبائل عمان بشرق إفريقيا». (14)

وهذه اللغة مليئة بالمفردات العربيَّة وبخاصة المفردات الإسلاميَّة التي دخلتها مع انتشار الإسلام في شرق أفريقيا منذ القرن الأول الهجري، بما في ذلك اسم اللغة نفسها؛ بل إن بعض العلماء يراها خليطًا من العربيَّة والبانتو، والذي يعنينا هنا أنَّها كتبت «عدة قرون بالحروف العربيَّة، وكانت محاولات الأوربيين لتعيير نظام الكتابة هادفة إلى قطع الصلة الحضاريَّة بين اللغة السواحليَّة والحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وفي عام 1907م أعلنت الحكومة الألمانية إلغاء استخدام الحروف العربيَّة في كتابة السواحليَّة في المنطقة التي احتلتها في شرق أفريقيا». (15)

ولغة الهوسا تنتشر في مناطق واسعة من نيجيريا والكاميرون والنيجر، ويقدر عدد الناطقين بها بـ 15 مليونًا، «وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين، وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربيَّة الإسلاميَّة عدة قرون، فكتبت بالخطِّ العربيّ، ودخلتها ألفاظ عربية كثيرة، وقد عُدِّل نظام الكتابة في عهد الاستعمار الأوربي، وأخذت المدارس الحكومية في تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتيني». (16)

3-في أرخبيل الملايو، يتحدث عشرات الملايين في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وسلطنة بروناي باللغة الملايويَّة بلهجاتها المختلفة، وهي اللغة الرسميَّة لهذه الدول الأربع، كما يُتَحدث بها محليًّا في الولايات الإسلاميَّة في جنوب تايلاند، وجنوب الفلبين، وجنوب كمبوديا، وكانت تكتب بالحرف العربيّ مع اختلافات يسيرة تأثرًا باللغة الفارسيَّة، ويعرف هذا الخط بالخط الجاويّ، وقد انتشر من (جاوة) بإندونيسيا إلى سائر أنحاء أرخبيل الملايو، وامتد إلى اللغة السُّولُوكية (Bahasa Suluk) التي يتكلم بها شعب (السولو) في جنوب الفلبين، «وقد دُوِّنَتْ لغة الملايو في القرن الثالث عشر بخطٍّ محليٍّ، وعدِّل نظام الكتابة في القرن الخامس عشر إلى الخطِّ العربيّ، ثم حول بعد ذلك إلى الخط اللاتيني، وعندما أعلن قيام دولة إندونيسيا سنة 1947م أعلنت معها لغة الملايو لغة رسمية للبلاد، ثم عُدِّلَ اسمها إلى اللغة الإندونيسية تمييزًا لها عن الأشكال اللغويَّة الأخرى القديمة والحديثة للغة الملايو». (17)

لقد غيَّر الاحتلال قبيل رحيله عن إندونيسيا طريقة كتابتها إلى الحروف اللاتينيَّة عام 1945م، وبعيد استقلال ماليزيا؛ إذ تركت الحرف العربيّ عام 1972م، وتبعتها سلطنة بروناي وسنغافورة لصغر حجمهما، وارتباطهما التاريخيّ والجغرافيّ بماليزيا، والمسلمون في جنوب تايلاند يحرصون على الخط الجاويّ، ولكن الحكومة تفرض اللغة التايلاندية عليهم، كما تفرض الحكومة الفلبينية اللغة الفلبينيَّة حتى على المسلمين في إقليم ميندناو.

(14) شعبان، علي علي أحمد؛ وسالم، عبد الحي أحمد محمد. (2015م). **القاموس الشامل سواحيلي – عربي**. القاهرة: المركز القومي للترجمة. ص: 7.

(15) حجازي، محمود فهمي. (1997م). **مدخل إلى علم اللغة**. (مرجع سابق). ص: 229.

(16) المرجع السابق. ص: 180.

(17) المرجع السابق. ص: 247.

وليس بوسعنا إلا أن نثمّن حرص سلطنة بروناي دار السلام على تراث الخط الجاويّ، وإلزام المحلات التجاريَّة بكتابة أسمائها بالخط الجاوي فوق الحرف اللاتينيّ وبحجم أكبر منه، بل دعوة جلالة السلطان إلى تعلمه في المدارس الابتدائية لجميع السكان حتى ولو لم يكونوا مسلمين باعتباره تراثًا خالدًا وصورة من صور جمال الخطِّ القرآنيّ.

4-في تركيا دولة الخلافة الإسلاميَّة، فبعد أن قام الهالك مصطفى كمال أتاتورك (1881-1938م) بإلغاء الخلافة الإسلاميَّة في ذلك التاريخ الأسود (27 من رجب 1342هـ = 3 من مارس 1924م)، أتبع هذا الانقلاب السياسيَّ بانقلابٍ لغويّ؛ إذ كانت اللغة التركيَّة تكتب بالحروف العربيَّة منذ القرن العاشر الميلادي تقريبًا، بل إنَّ بعض العلماء العرب ألَّف كتبًا بالعربيَّة في قواعد اللغة التركيَّة مثل كتاب: "الإدراك للسان الأتراك"؛ لأبي حيان الأندلسيّ (أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة 745هـ/ 1344م). (18)

ولما أنجز المجرمُ انقلابه أراد قطع الصلة بين الأتراك والثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، فصدر المرسوم رقم 1353 بتاريخ 1 نوفمبر 1928م، والذي ينصُّ على وجوب استخدام الحروف اللاتينيَّة بدلًا من الأبجديَّة العثمانيَّة التي كانت تستخدم الحروف العربيَّة، فهجرت الحروف العربيَّة، مما أثَّر سلبًا على نسبة المتعلمين في تركيا لعشر سنوات لاحقة. يقول محمود فهمي حجازي: «كان استخدام الحرف اللاتينيّ في تدوين اللغة التركيَّة سنة 1928م نقطة تحوُّلٍ في التاريخ اللغويّ والحضاريّ التركيّ، فكان إعلانًا بالتحول عن الارتباط بالعربيَّة والفارسيَّة، ودعوةً إلى التغريب في اللغة التركيَّة، وقد حاولت الحكومات التركيَّة بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربيَّة وفارسيَّة كثيرة كانت قد دخلت التركيَّة وإحلال كلمات تركية بديلة، وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الألفاظ العربيَّة والفارسية مستقرة في اللغة التركيَّة... ولكن تحول نظام الكتابة عن الخط العربيّ إلى الخط اللاتيني أوقف دخول كلمات عربية جديدة، وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة من اللغات الأوربية».(19)

والأنكى أنَّ الخط العربيَّ لم يُمْحَ من تركيا الكماليَّة العلمانيَّة وحدها، باعتباره من إرث الدولة العثمانيَّة، وإنما من كلِّ اللغات التي تمت إلى التركيَّة بنسب، وإن كانت خارج الحدود التركيَّة، مثل: اللغة التترية التي كان يكتب بها المسلمون من التتار، واللغة الكاشغرية التي كان يكتب بها المسلمون الصينيون في إقليم "تركستان"، والتركيَّة القرمية التي كان يكتب بها مسلمو شبه جزيرة القرم. (20)

المسار الثاني:

وهو متعلق باللغة العربيَّة نفسها، إذ اتخذ الأعداء من نجاح التجربة التركيَّة الأتاتوركيَّة ذريعةً لتعميمها على الدول العربيَّة متجاهلين الفروق الحضاريَّة بين اللغتين، والشعبين، ومن ثم ولوا وجههم شطر مصر باعتبارها مركز

(18) طبع هذا الكتاب في المطبعة العامرة بتركيا عام 1309هـ، ويقع في 213 صفحة.

(19) حجازي، محمود فهمي. (1997م). **مدخل إلى علم اللغة**. (المرجع السابق). ص: 217.

(20) عبادة، عبد الفتاح. (د. ت). **انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي**. ط2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ص: 44 وما بعدها.

الثقل الثقافيّ في العالم العربيّ آنذاك، فمن قديم ادعى المستشرق الألماني "فلهلم سبيتا" أنَّ الكتابة العربيَّة عقيمة ومعقدة، وأثار هذه الشكوى سنة 1880م «في كتابه "قواعد اللغة العربيَّة العامية في مصر"، واقترح لحلها استبدال الحروف اللاتينيَّة بالحروف العربيَّة، وقام فعلاً بوضع طريقة الكتابة بالحروف اللاتينيَّة طبقها في كتابة النصوص العامية التي مثل بها في كتابه». (21)

ثم اشتعلت تلك الشرارة الخبيثة على يد عبد العزيز باشا فهمي (1870-1951م) -وهو قاضٍ، وسياسيٌّ بارزٌ، وعضو بمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة -إذ تقدَّم باقتراح إلى المجمع اللغويّ المصريّ في جلسته التي انعقدت يوم 1943/5/3م دعا فيه إلى استِبدال الحروف اللاتينيَّة بالحروف العربيَّة، ولم يكن هذا الاقتراح مستقلًّا، بل كان مشفوعًا بالدعوة إلى هَجرِ الفُصحى، وإحلال العاميَّة مكانها، وكانت كلماته التي صاغ بها مُقترحاته تنمُّ عن نقمة عاتية على الفصحى، «وبعد أن ذكر هذه الصعوبات التي تتعلق بنحو العربيَّة وصرفها انتقل إلى التنديد برسم كتابتها، فهذا الرسم في رأيه هو أهم أسباب مرض العربيَّة، وأنَّه الكارثة الحائقة بنا في لغتنا؛ لأنَّه رسمٌ لا يتيسر معه قراءتها قراءة مسترسلة ومضبوطة حتى لخير المتعلمين، وذلك لخلوه من حروف الحركات... وانتهى إلى الدعوة إلى اتخاذ الحروف اللاتينيَّة وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربيَّة، زاعمًا أنَّ جميع الأمم التي تستخدم حروف الحركة في كتابتها هي الأمم الراقية علميًّا وصناعيًّا، هم أهل أوربا وأمريكا إطلاقًا، أما الأمم التي لا حروف حركات عندها كالصين وإيران والترك (قبل الآن) والعرب فكلُّها من الأمم المتأخرة علميًّا وصناعيًّا... ثم أخذ يشيد بتركيا التي لها فضل السبق في تحقيق مشروعه، واقترح طريقة لكتابة اللغة العربيَّة بالحروف اللاتينيَّة، وذكر لها ست عشرة مزيَّة، منها: أداء جميع الأصوات بحرف لا يشترك معه غيره، الاستغناء عن النقط والشكل، سرعة تعلم الطفل لها، تسهل على الأطفال تعلم اللغات الأجنبية، وتسهل على الأجانب تعلم اللغة العربيَّة، تسهيل طباعة الكتب، تقليل الأخطاء الطباعيَّة». (22)

وقد ظاهره على هذه الدعوة "سلامة موسى" (ت1958م) وهو كاتبٌ معرف بعدائه للغة العربيَّة، وعمله المستمر على مسخ الهويَّة الحضاريَّة للأمَّة، في كتابه "البلاغة العصريَّة واللغة العربيَّة"؛ إذْ عقد فيه فصلاً بعنوان: "حاجتنا الحتمية إلى الحروف اللاتينيَّة" تحدث فيه عن النهضة الصناعية في أوربا، ودَنْدَنَ حول أنَّ الإنجليزيَّة هي لغة العلم والصناعة، وانتهى إلى أنَّه لا نهضة إلا إذا اسْتَلْتَنَ الهجاءُ العربيُّ. (23)

وقد ردَّ أعضاء المجمع على "عبد العزيز فهمي"، وفندوا دعاواه بالأدلة القاطعة، مما ردَّه خاسئًا وهو حسير، ونستطيع إجمال الرَّدود على هذه الدعوى البائرة بما يلي:

(21) سعيد، نفوسة زكريا. (1383هـ/ 1964م). **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. الإسكندرية: دار نشر الثقافة. ص: 207.

(22) المرجع السابق. ص: 209-214 (باختصار).

(23) موسى، سلامة. (1964م). **البلاغة العصرية واللغة العربية**. ط3. القاهرة: سلامة موسى للنشر والتوزيع. ص: 155-160.

1-تؤدّي هذه الدعوى إلى سلخ المسلمين من التواصل مع القرآن الكريم، فالعلماء متفقون على وجوب كتابته بالحرف العربيّ، وقد «سئلت لجنة الفتوى في الأزهر عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينيَّة فأجابت بعد حَمْد الله والصلاة والسلام على رسوله بما نصُّه: لا شكَّ أنَّ الحروف اللاتينيَّة المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربيَّة فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربيَّة فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربيّ كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ويتبعهما تغير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف، وأجمع علماء الإسلام سلفًا وخلفًا على أنَّ كلَّ تصرف في القرآن يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعا باتا ومحرم تحريما قاطعا، وقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربيَّة». (24)

2-تؤدّي هذه الدعوى إلى سلخ المسلمين من التواصل مع التراث العربيّ والإسلامي في شتى مجالات المعرفة، فقد دون جلُّه باللغة العربيَّة، حتى العلماء غير العرب كالخوارزميّ والزمخشريّ والفارابيّ لم يكتبوا إلا باللغة العربيَّة، مما يؤدي إلى قطيعة معرفيَّة مع ذلك التراث الهائل الذي يقدر بملايين الكتب، ولو أردنا أن نعيد كتابتها بالحروف اللاتينية، فنحن نحتاج إلى مئات الآلاف من العلماء والمترجمين، وإلى أموال تزيد على ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى عشرات السنوات حتى ينشأ جيل يقبل هذا المسخ الحضاريّ.

3-لا علاقة لطريقة الكتابة بالتقدم والرقيّ، فاليابان من أعظم دول العالم تقدمًا اليوم، وهي تستخدم حروف اللغة اليابانيَّة البالغة الصعوبة، والصين وهي مصنع العالم كلِّه تحافظ على اللغة الصينيَّة التي هي من أعسر اللغات على وجه البسيطة، والدولة اللقيطة إسرائيل أكثر تقدُّمًا من العرب، وهي تحافظ على اللغة العبريَّة التي بها حركات أكثر من اللغة العربيَّة بكثير، فكلُّ حركة عندهم بين قصيرة وطويلة، وبين صريحة وممالة، بل الشدَّة عندهم إمَّا قويَّة وإمَّا ضعيفة، والسكون إمَّا ساكن وإمَّا متحرك، ومع ذلك أحْيَوْا هذه اللغة من مواتها، وأصرُّوا على استعمالها مع أنَّهم قدموا من الشتات ويتكلمون بلغات أخرى، ولو رجعنا قرونًا على الوراء فالعرب كانوا أكثر أمم العالم تقُّدمًا في القرن الرابع الهجريّ وهم يستخدمون اللغة العربيَّة، بينما كانت أوروبا ترزح تحت نير جهالات القرون الوسطى.

4-أنَّ قياس اللغة العربيَّة على اللغة التركيَّة -وعلى سائر اللغات التي تخلَّتْ عن الخط العربيّ -قياس مع الفارق، فليس «لدى تركيا من التراث الذي تودُّ المحافظة عليه سوى 300 كتاب في أقصى حدٍّ، بينما تبلغ مؤلفات ابن سينا وحده ما يقرب من هذا العدد أو يزيد عليه، فما القول بعد بتلك القناطير المقنطرة من المخطوطات العربيَّة المنتشرة في أرجاء العالم كلِّه، ودعك من المطبوعات التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، ومعظمها مما لا يستغنى عنه، ولا سبيل إلى إهماله». (25)

(24) الزرقاني، محمد عبد العظيم. (د.ت). **مناهل العرفان في علوم القرآن**. ط3. القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي. 134/2.

(25) شرارة، عبد اللطيف. (1984م). **معارك أدبية قديمة ومعاصرة**. بيروت: دار العلم للملايين. ص: 223.

5-هناك خصوصيَّاتٌ لغويَّة ينبغي أن تحترم؛ إذ لا يوجد لها مقابل بالحروف اللاتينية، فاللغات السامية تعتمد في كتابتها على الصوامت دون الصوائت، بخلاف اللاتينيَّة التي تكتب كلاًّ منهما، مما يؤدي إلى استهلاك مساحات واسعة من الورق، قارن بين كتابة (محمد) = 4 حروف، و(Muhammad) = 8 حروف. وهناك حروف تنفرد بها اللغة العربيَّة كبعض حروف الحلق وحروف الإطباق، ولم توضع بعد طريقة سديدة متفق عليها لنقلها إلى اللاتينية.

6-ليس العيب في الحرف العربي، فكلُّ لغة لها صعوباتها ومشكلاتها الخاصة، وما غير العربيَّة بمعزل عن ذلك، ودورنا أن نعمل على رفع كفاءة المعلم، وتطوير طرق التدريس، والعمل على مواكبة المناهج الدراسية للعصر، وفي الوقت نفسه يبحث الخبراء في المجامع اللغويَّة على طرق لتيسير الكتابة العربيَّة، وحلِّ لمشكلاتها.

المبحث الثاني: العدوُّ الدَّاخليُّ

لم يُفْرَض الحصار على الخطِّ العربيِّ من جانب أعدائه المتربِّصين بنا الدوائر فحسب، بل بسذاجة أبنائه وغفلتهم عن تراثهم، ومناط عزتهم، واستباقهم في سبيل تقليد الغرب تقليدًا أعمى، وصدق صالح بن عبد القدوس (ت160هـ/ 776م) إذ يقول: (26)

لَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ * مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ**

فقد توقفت الدعوة إلى كتابة العربيَّة بحروف لاتينية منذ نحو نصف قرن تقريبًا ولكنَّها «عادت إلينا مع استيراد آلات تعمل بالحرف اللاتيني، وآلات أخرى لا تقدم الحرف العربيّ إلا على نحو يقل وضوحًا وإتقانًا وسرعةً عن مثيله اللاتيني». (27)

فقد كان للانتشار السريع لأجهزة الحاسب الآلي، والهواتف المحمولة ذات الإمكانات الهائلة تأثيرٌ بالغ على الخطّ العربيّ نستطيع أن نجمله فيما يلي:

1-تآكل مهنة الخطَّاط أمام الخطوط الرقميَّة المدونة بالحاسب الآلي؛ حيث لم يعد كثير من المعلنين بحاجة إلى ذلك "الخطاط" الماهر الذي تنسج أنامله الذهبية لوحات بديعة، بل بات يحصل في دقائق معدودة على اللوحة التي يريد، بالألوان التي يريد، والكميات التي يريد، وبأسعار أقل كثيرًا مما تتكلَّفه عملية الكتابة اليدويَّة، ناهيك عن

(26) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (1983م). **التمثيل والمحاضرة**. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط2. تونس: الدار العربية للكتاب. ص: 77.

(27) حجازي، محمود فهمي. (1982م). **تيسير الكتابة العربية**. قطر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، السنة الرابعة، العدد الخامس. ص: 130.

المرونة الهائلة للخطوط الرقمية، فأنت تستطيع بسهولة شديدة أن تضبط حجم الخط على المساحة التي تريد دون أن تشعر العين بضغط أو تمطيط متعمد للحروف كما كان يحدث في اللوحات اليدوية.

وفي تحقيق قامت به "المجلة العربيَّة" عن تهديد الخطوط الحاسوبية للخط العربيّ اتفق المشاركون من الخطاطين على أنَّ الخطوط الحاسوبية قد استحوذت على ما بين 85-90% من سوق الإعلان، ولم يبق للخطاط إلا مجال ضيق من خلال الكتابة على الجلود والفخار، وتصميم اللوحات لعشاق الخط اليدويّ. (28)

2-عُزُوف كثير من الناس عن الكتابة باليد، فصار الطالب والباحث يعمد إلى لوحة المفاتيح مباشرة، حيث يمكنه الحاسب من التعديل متى شاء، دون الحاجة إلى ممحاة أو مزيل للتصحيح (Corrector)، واختفت مصطلحات المسودة والمبيضة من حياتنا تقريبًا، مما أثَّر سلبًا على مهارة الكتابة بالخط اليدوي، وأنا أعترف أنني واحد ممن أصابتهم تلك البلوى، فقد كنت أكتب بخطٍّ جميل يعرف به الأساتذة ورقة إجابتي مع الترقيم السري، فلما ابتليتُ بالكتابة المباشرة على الحاسب، واستمرَّ ذلك معي لأكثر من عقد من الزمن أحسسْتُ بالتأثير السلبيّ على خَطِّ يدي، فغاض ماؤه، وقلَّ بهاؤه.

3-انحسار الكتابة باليد في الفصول الدراسية، فمع تزويد قاعات الدراسة بأجهزة العرض (Projector)، ومع اقتحام السبورات الذكية التفاعليَّة (Smart board) بات الأساتذة يحضرون الدروس على برامج (power point)، ويعرضونها أمام الطلاب، والأنكى أنَّ الأستاذ قد يكتب شيئًا للتفسير والتوضيح بخط اليد على السبورة التقليدية، فيتكاسل الطلاب عن كتابته في كراساتهم، ويصورونه بالهواتف المحمولة، وهذا من شأنه أن يزيد الطالب ضعفًا على ضعفه في الكتابة اليدوية، ويقلل من تثبيت المعلومات في ذهنه، فمن المقرر أن كتابة المعلومة باليد مرة أو أكثر يثبتها في الذهن، فالعلم صيد والكتابة قيد كما قال أسلافنا.

4-عموم بلاء الكتابة الهجين: فقد كان لانتشار أجهزة الهاتف المحمول، والحاسوب المكتبي والمحمول واللَّوْحيّ انتشارًا فاق خيال مخترعيها أنفسهم دورٌ كبيرٌ في تحوُّلات لغويَّة خطيرة، ففي البداية كان أكثر هذه الأجهزة لا يشتمل على لوحة مفاتيح عربيَّة، بل كانت بعض أنظمة التشغيل منذ سنوات لا تدعم اللغة العربيَّة أصلًا، مما اضطر بعض المستخدمين إلى الاستعانة بالحروف اللاتينيَّة، فإنْ كان عاجزًا عن التعبير باللغة الإنجليزيَّة، عبَّر عن الألفاظ العربيَّة بالحروف اللاتينيَّة، واستسهل الشبابُ طريقةً خارجةً عن كلِّ القواعد والمعايير تسمى بالعربيزي (Arabizi)، أو "العربليزي" وأحيانًا تسمى بالفرانكو أراب (Franco-Arab)، أو الأرابش (Arabish)، وهي كلمة منحوتة من كلمتي (Arabic)، (English)، أو "العربلش" (Arablish)، كأنها عربية مكتوبة من

(28) الحجي، هاني. (2010م). **الخط العربيّ من اللوحة التشكيلية إلى شاشة الحاسب**. المملكة العربية السعودية: الرياض. المجلة العربية، عدد الجمعة 2010/9/3م. على الرابط (آخر زيارة 2019/7/2م):

http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?Id=675

الشمال، أو "المكرونية" (Macaronic)؛ لأنَّها لغة قرنت بغيرها، وأحيانًا تسمى "عربي بالإنجليزي" Arabi bel Englizi. (29)

ويمكن النظر إلى هذا الشكل الهجين الجامع بين العربيَّة والإنجليزيَّة، فيستخدم معها مصطلح "العرجمية" وهو مصطلح عام لكل ما داخلتْ فيه العربيَّة عُجمةٌ، وتحته عدَّة تفريعات، حيث نحت بعضهم مصطلح "العربجليزي" أو "العرنجليزي" لما اختلطت فيه العربيَّة بالإنجليزية، كما نحتوا "العربنسية" أو"العرفرنسية" لما اختلطت فيه العربيَّة بالفرنسيَّة... وهكذا.

وهذه المصطلحات تشير إلى طريقة هجين تجمع بين الحروف والأرقام، كأنَّها شفرات سريَّة، وأسرفوا في استخدامها في الكتابة والمحادثة عبر الشبكة الدوليَّة، أو في إرسال الرسائل القصيرة عبر الهاتف المحمول (SMS)، مما اضطر شركة (جوجل) إلى اعتمادها ضمن أدوات الإدخال في مُحرِّكها البحثيّ، بحيث تساعدهم هذه الأداة على تحويل الكلمة إلى نصِّها الأصليّ.

فالهمزة يكتبونها رقم اثنين (2) فمثلاً سبأ تكتب: saba2، والعين يكتبونها رقم ثلاثة (3)، فمثلاً "عيد سعيد" تكتب: 3id sa3d، والخاء يكتبونها رقم خمسة (5)، فمثلاً "أخبارك" تكتب هكذا: (A5bark)، والحاء يكتبونها رقم (7)، والصاد يكتبونها الرقم تسعة (9)، فمثلاً كلمة بصراحة تكتب هكذا: (B9ra7h)، وغيرها.

ولم يكتف الشباب بهذا، بل أعملوا مِبْضع الاجتزاء في كثير من الجمل التي يستخدمونها في العربيَّة والإنجليزيَّة على السواء، ففي اللغة الإنجليزيَّة يكتبون جملة: "كيف حالك" هكذا: How r u، ويكتبون جملة: "أراك لاحقًا" هكذا: C U، ويكتبون جملة: "وأنت أيضًا" هكذا: U 2، ويكتبون جملة: "أنا مضطر للذهاب" هكذا: G 2 G، ويكتبون جملة: "أنا مدين لك" هكذا: I O U، ويكتبون شبه الجملة: "لك" هكذا: U 4 إلى غيرها من التعبيرات الممسوخة التي تصدمنا في اللافتات، وفي صفحات الشبكة الدوليَّة.

وفي العربيزي الهجين أعملوا هذا المبضع العشوائيّ في الاختصار حتى طال تعبيرات إسلاميَّة شائعة، فصاروا يكتبون: SA، اختصارًا لعبارة "السلام عليكم" = Salamo Alykum، ويكتبون: ISA اختصارًا لعبارة: "إن شاء الله" = In Sha2a Allah، ويكتبون: MSA اختصارًا لعبارة: "ما شاء الله" = Ma Sha2a Allah، ويكتبون: JAK اختصارًا لعبارة: "جزاكم الله خيرًا"= Jazakom Allaho khayra؟!

وهذا في تقديري أعظم تهديد للخط العربي، وتحدٍّ خطير ينبغي أن تتآزر جهود المؤسسات الثقافية من أجل مواجهته.

(29) الدرويش، علي محمد. (2005م). **أزمة اللغة والترجمة والهوية في عصر الإنترنت والفضائيات والإعلام الموجَّه**. أستراليا، ملبورن: شركة رايتسكوب. ص: 376.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في رياض الخطِّ العربيِّ، أراها انتهت إلى جملة من النتائج والتوصيات أرجو أن يكون لها أثر في تعزيز مكانة الخط العربي، ووقايته من الأخطار التي تكتنفه خارجيًّا وداخليًّا، وأهم هذه النتائج:

1-ليس الخط العربي مجرد شكل خارجي للغة، ولكنَّه جزء أصيل منها، ورمز من رموز الهويَّة العربيَّة الإسلاميَّة، والتفريط فيه باب من أبواب فقدان الهويَّة.

2-ليس الخط مجرد علم ملصق باللغة العربيَّة، ولكنه علم أصيل مستطيل تتفرع عنه علوم أو مجالات شرعيَّة ولغويَّة وحضاريَّة وقانونيَّة ونفسيَّة.

3-عرف الأعداء من قديم طريقهم لسلخ المسلمين من هويتهم، فحاربوا الخط العربي، ونجحوا في القضاء عليه في اللغات غير العربيَّة، ولم تصمد أمام محاولتهم الهدامة سوى اللغتين الفارسية والأردو.

4-سجل علماء مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة موقفًا مشرفًا أمام دعوات نبذ الحروف العربيَّة، والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية، وردوا الدعاة لها على أعقابهم خاسرين.

5-على الخبراء في المجامع اللغوية العمل الدؤوب من أجل تيسير الكتابة العربيَّة، وحلِّ مشكلاتها، ترغيبًا للناشئة في استعمالها، وتأكيدًا على يسرها أمام دعاة التغريب.

6-ينبغي أن تتآزر جهود المؤسسات الثقافية من أجل مواجهة ذلك الخطر المحدق المتمثل في اللغة الشبابية الهجين (الفرانكو آراب) التي تتعاظم كل يوم مع تنامي استخدام الهواتف المحمولة.

7-ينبغي أن تتآزر الجهود لتطوير برنامج لقراءة تلك النصوص، وبرامج القارئ الآلي، وبرامج تحويل النص المسموع إلى نص مكتوب، والعكس، بل نطمع في برنامج لقراءة المخطوطات العربيَّة، مما يوفر كثيرًا من الجهود في عمليات التحقيق.

8-النظر في تأسيس برنامج علمي متكامل في "الكتابة العربيَّة"، بحيث يكون تخصصًا جامعًا بين العلم والفنِّ، ناظمًا شذرات علوم الكتابة الموزعة بين اللغة العربيَّة والحضارة والفنون والآثار والشريعة والقانون وعلم النفس، في سلك واحد.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

أهم المصادر والمراجع

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (1983م). **التمثيل والمحاضرة**. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط2. تونس: الدار العربيَّة للكتاب.

(2) الجبوري، محمود شكر. (1998م). **الخطُّ العربيُّ: قيم ومفاهيم والزخرفة الإسلاميَّة**. الأردن، أربد: دار الأمل.

(3) الجبوري، يحيى وهيب. (1994م). **الخط والكتابة في الحضارة العربيَّة**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

(4) حجازي، محمود فهمي. (1982م). **تيسير الكتابة العربيَّة**. قطر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، السنة الرابعة، العدد الخامس.

(5) حجازي، محمود فهمي. (1997م). **مدخل إلى علم اللغة**. القاهرة: دار قباء.

(6) الحجي، هاني. (2010م). **الخط العربيّ من اللوحة التشكيلية إلى شاشة الحاسب**. المملكة العربيَّة السعودية: الرياض. المجلة العربيَّة، عدد الجمعة 2010/9/3م على الرابط (آخر زيارة 2019/7/2م): http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?Id=675

(7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1408هـ/ 1988م). **تاريخ ابن خلدون**. المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). تحقيق: خليل شحاته. مراجعة: سهيل زكار. ط2. بيروت: دار الفكر.

(8) الدرويش، علي محمد. (2005م). **أزمة اللغة والترجمة والهويَّة في عصر الإنترنت والفضائيات والإعلام الموجَّه**. أستراليا، ملبورن: شركة رايتسكوب.

(9) الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (1411هـ/ 1990م). **حكمة الإشراق إلى كتَّاب الآفاق**. تحقيق: محمد طلحة بلال. القاهرة: مطبعة المدني.

(10) الزرقاني، محمد عبد العظيم. (د.ت). **مناهل العرفان في علوم القرآن**. ط3. القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي.

(11) سعيد، نفوسة زكريا. (1383هـ/ 1964م). **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. الإسكندرية: دار نشر الثقافة.

(12) شرارة، عبد اللطيف. (1984م). **معارك أدبية قديمة ومعاصرة**. بيروت: دار العلم للملايين.

(13) شعبان، علي علي أحمد. وسالم؛ وسالم، عبد الحي أحمد محمد. (2015م). **القاموس الشامل سواحيلي – عربي**. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

(14) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى. (1314هـ). **أدب الكتَّاب**. تحقيق: محمد بهجة الأثري، مراجعة: السيد محمود شكري الآلوسي. القاهرة: المطبعة السلفية، وبغداد: المكتبة العربيَّة.

(15) عبادة، عبد الفتاح. (د. ت). **انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي**. ط2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

(16) عليوة، منى مصطفى. (2017م). **أثر الفنون الإسلاميَّة في أعمال فن التصوير الحديث والمعاصر**. القاهرة: مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد الثامن.

(17) عمر، أحمد مختار. (1429هـ/ 2008م). **معجم اللغة العربيَّة المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب.

(18) لوبون، جوستاف. (1969م). **حضارة العرب**. ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: عيسى الحلبي.

(19) موسى، سلامة. (1964م). **البلاغة العصرية واللغة العربيَّة**. ط3. القاهرة: سلامة موسى للنشر والتوزيع.